

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) [ص: 27]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا جَرى فِي خطابِ داوودَ (ﷺ) ذِكْرُ نِسْيَانِ يَوْمِ الْحِسَابِ، وَكَانَ أَقْصَى غَايَاتِ ذَلِكَ النَّسْيَانِ جُحُودَ وَقُوعِهِ؛ لِأَنَّهُ يُفْضَى إِلَى عَدَمِ مُرَاعَاتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ أَبَدًا؛ اعْتَرَضَ بَيْنَ الْقِصَّتَيْنِ بَثْلَاثَ آيَاتٍ؛ لِبَيَانِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَعْلِ الْجَزَاءِ وَيَوْمِهِ احْتِجَاجًا عَلَى مُنْكَرِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.⁽¹⁾ وَابْتَدَأَ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ بِهَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهَا اسْتَدْلَالٌ إِجْمَالِيٌّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كَانَ بِالضَّرُورَةِ مُنْكَرًا لِلْحِكْمَةِ مِنَ الْخَلْقِ، وَنَاسِبًا لِلَّهِ الْخَالِقِ الْعَبَثُ فِي خَلْقِهِ وَإِجَادِهِ.

الاحتجاج على
منكري البعث
بحكمة الخلق

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بَاطِلًا﴾: أَصْلُ (بَطَلَ) يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الشَّيْءِ وَقِلَّةِ مَكْنَاهُ وَلُبْنَاهُ⁽²⁾. يُقَالُ: بَطَلَ الشَّيْءُ: إِذَا ذَهَبَ ضَيَاعًا وَخُسْرَانًا، وَالبَاطِلُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ بَطَلَ الشَّيْءُ يَبْطُلُ بَطْلًا وَبُطْلَانًا، وَمَعْنَاهُ: نَقِیْضُ الْحَقِّ وَالصَّحَّةِ⁽³⁾، وَهُوَ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ عِنْدَ الْفَحْصِ عَنْهُ⁽⁴⁾. وَهُوَ أَيْضًا: النَّالِفُ وَالضَّائِعُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَجَمْعُهُ: بَوَاطِلٌ، وَقِيلَ: أَبَاطِلُ⁽⁵⁾. وَالْمُرَادُ بِ(الباطل) فِي الْآيَةِ: نَقِیْضُ الْحَقِّ، وَهُوَ الْعَبَثُ وَاللَّهُوُ وَاللَّعِبُ دُونَ حِكْمَةٍ وَنِظَامٍ⁽⁶⁾.

(2) ﴿ظَنُّ﴾: أَصْلُ (ظَنَّ) يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ: يَقِينٍ وَشَكٍّ⁽⁷⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 246 / 23.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بطل).

(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (بطل).

(4) الراغب، المفردات: (بطل).

(5) الجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (بطل).

(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 155 / 12.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظن).

وهو اسمٌ لما يحصلُ عن أمارَةٍ، فمتى قَوِيَتْ أدَّتْ إلى العِلْمِ واليَقِينِ⁽¹⁾، يُقال: ظَنَنْتُ ظَنًّا؛ أي: عَلِمْتُ وأَيَقَنْتُ⁽²⁾، ومتى ضَعُفَتْ جِدًّا لم يتجاوزَ حَدَّ التَّوَهُّمِ، فيكون معناها الشَّكُّ والاعتقاد والتردُّد، يُقال: ظَنَنْتُ الشَّيْءَ: إذا شَكَّكَتَ فِيهِ ولم تَتَيَقَّنْهُ⁽³⁾. ويأتي الظَّنُّ بِمعنى الاتِّهامِ، والظَّنَّةُ: التُّهْمَةُ. وَجَمَعَهُ: ظُنُونٌ⁽⁴⁾. والمُرَادُ بِالظَّنِّ هنا: اعتقادُ الْمُخْطِئِ عن غيرِ دليلٍ، الَّذِي يَحْسِبُهُ صَاحِبَهُ حَقًّا وَصَحِيحًا⁽⁵⁾.

❁ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يقولُ تعالى مُنْزَهًا نَفْسَهُ عَنِ الْعَبَثِ وَمُتَوَعِّدًا الْكَفَّارَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ذَلِكَ: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا عَبَثًا وَلَعِبًا وَلَهُوَ بَلَا غَايَةٍ وَلَا حِكْمَةٍ، وَإِنَّ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعُظْمَى خُلِقَتْ عَبَثًا لغيرِ غَرَضٍ - فلا قِيَامَةَ وَلَا حِسَابَ - هُوَ ظَنُّ خَاطِئٍ كَاذِبٍ، فَيَا هَلَاكَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ يَوْمَ الْمَعَادِ وَالنُّشُورِ؛ جَزَاءَ مَا قَدَّمُوا مِنَ الشُّرْكِ وَالْعِصْيَانِ، وَجُحُودِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ⁽⁶⁾.

❁ الإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

بَلَاغَةُ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْآيَةِ:

جاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ مُسْتَأْنَفًا مُقَرَّرًا لما قَبْلَهُ من أمرِ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ؛ فَإِنَّ خَلْقَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحِكْمِ الْبَاهِرَةِ وَالْأَسْرَارِ الْبَالِغَةِ وَالْفَوَائِدِ الْجَمَّةِ وَالنِّظَامِ الْمُتَقَنِّ الْبَدِيعِ أَقْوَى دَلِيلٍ

مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ
سُبْحَانَهُ مَا لَا
يَلِيقُ بِهِ فَجَزَاؤُهُ
النَّارُ

تَقْرِيرُ أَمْرِ الْمَعَادِ
وَالْحِسَابِ
وَالْحِكْمَةِ مِنَ
الْخَلْقِ

(1) الرَّاغِب، للفردات، والسِّمين الحلي، عمدة الحفاظ: (ظن)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 3/ 545، والناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 231.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 22/ 170، والقنوجي، فتح البيان: 14/ 295.

(3) ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص: 62، وابن سيده، اللخصص: 3/ 223.

(4) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (ظن - ظن).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8 - أ/ 26.

(6) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 78، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 191، والزحيلي، التفسير

الوسيط: 3/ 2202.

على عِظَم القدرة التي لا يتعاصها أمرُ المعادِ والحِساب، وجَوَزُ كَوْنِ الجملةِ في موضعِ (الحال) مِنْ فاعِلٍ ﴿نَسُوا﴾ [ص: 26] في الآيةِ السَّابِقَةِ؛ جيءَ بها لتفْطِيعِ أمرِ النَّسيانِ؛ كأنَّه قيلَ: بما نَسُوا يومَ الحسابِ مع وجودِ ما يُؤدِّنُ به⁽¹⁾ ويُذَكِّرُ بِشأنه مِنْ خلقِ العالمِ بنظامٍ وحقٍّ وحكمة، وكتابٌ مُنْزَلٌ مُذَكِّرٌ به مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَذَكَّرَ.

دلالة النفي بـ (ما):

وردَ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ النِّفْيُ بـ (ما)، وهي موضوعةٌ لِنَفْيِ الحالِ والاستقبالِ؛ لتحقيقِ العمومِ في نفيِ صدورِ أيِّ شيءٍ مِنْ خلقِ السَّمَاءِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا مِنْ المخلوقاتِ باطلاً من دونِ حِكْمَةٍ⁽²⁾.

علةُ إسنادِ فعلِ الخَلْقِ إلى ضميرِ العظمة:

أُسْنِدَ فعلُ الخَلْقِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ إلى (نا) ضميرِ جماعةِ المتكلمين أو المُعْظَمِ نَفْسَهُ، وفيه دلالةٌ على تعظيمِ الخالقِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ مَثْلَ هذا التَّعْبِيرِ يُعْبَرُ به الملوكُ والعظماءُ النَّافِذُ أَمْرُهُمْ ونَهْيُهُمْ، وفيه أيضاً إدخالُ المهابةِ في قلوبِ العبادِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى أَنَّ العَظِيمَ تَأَبَّى له عَظَمَتُهُ غَيْرَ الجَدِّ العَظِيمِ، ولا يجوزُ عليه الباطلُ والعَبَثُ⁽³⁾. كما يُسَهِّمُ تعظيمُ الفاعلِ في تعظيمِ الفعلِ نفسه بالإشارةِ إلى عظمةِ الخلقِ، ولا يكونُ الخلقُ عَظِيماً إِلَّا إذا كان مُتَقَنّاً ومُحَكِّماً ودَقِيقاً.

نوعُ (أل) في ﴿السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾:

وردتْ كلمتا ﴿السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ مُعْرِفَتَيْنِ بأداةِ التَّعْرِيفِ (أل) الدَّالَّةُ على تعريفِ الجنسِ، سواءً أريدَ بالسَّمَاءِ الجنسُ الصَّادِقُ بِجميعِ

نفي الباطل في
الخلق إثبات
للحكمة فيه

العظيم لا
يصدّر عنه إلا
فعل حكيم

تعريف الجنس
يقتضي العموم

(1) الألوسي، روح المعاني: 12/ 180.

(2) درويش، إعراب القرآن: 318/ 08، وفاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 191.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 370/ 16، والشَّهاب، غناية القاضي: 6/ 208.

السَّمَاوَاتِ عَلَى طَرِيقَةِ الْعُمُومِ الْحَقِيقِيِّ، أَوْ الصَّادِقُ بِسَمَاوَاتٍ مشهورةً عَلَى طَرِيقَةِ الْعُمُومِ الْعُرْفِيِّ، وَهِيَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَكَذَلِكَ دَلُّ تَعْرِيفِ (الْأَرْضِ) عَلَى الْجِنْسِ الْمُقْتَضِي لِلْعُمُومِ⁽¹⁾. وَالْغَرَضُ مِنَ الْعُمُومِ وَالِاسْتِغْرَاقِ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْعَالَمِ مَخْلُوقٌ بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ الَّتِي لَا يُحَاطُ بِأَسْرَارِهَا وَخَبَايَاهَا، فَكَيْفَ يُنْسَى الْحَسَابُ وَيُسْتَهْزَأُ بِالنُّشُورِ وَالْمَعَادِ؟

بَقِيَ أَنَّ بَيْنَ «السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» طَبَاقَ التَّضَادِّ؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الْعَوَالِمِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ مُبْرَأَةٌ عَنِ الْعَبَثِ وَاللَّهْوِ فِي خَلْقِهَا وَإِجَادِهَا.

نَكْتَةُ تَقْدِيمِ «السَّمَاءِ» عَلَى (الْأَرْضِ):

تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا» ذِكْرُ «السَّمَاءِ» عَلَى (الْأَرْضِ)؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ فِي السَّمَاءِ أَعْظَمُ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ؛ لِسَعَتِهَا وَعِظَمِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ كَوَاكِبَ وَشَمْسٍ وَقَمَرٍ وَبُرُوجٍ، مَعَ عُلُوقِهَا وَاسْتِغْنَائِهَا عَنْ عَمَدٍ تُثْقِلُهَا أَوْ عِلَاقَةٍ تَرْفَعُهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَجَائِبِهَا، فَالْآيَاتُ فِيهَا أَعْظَمُ دَلَالَةً مِنَ الْأَرْضِ⁽²⁾.

وَجْهُ إِفْرَادِ «السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» دُونَ جَمْعِهِمَا:

يُلاحَظُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا» إِفْرَادُ «السَّمَاءِ»، وَقَدْ جَاءَتْ مَجْمُوعَةٌ فِي آيَاتٍ أُخْرَى، وَالْحَاصِلُ: أَنَّهُ حَيْثُ أُريدَ الْعَدَدُ أُتِيَ بِصِيغَةِ (الْجَمْعِ)، وَحَيْثُ أُريدَ الْجَهَةُ أُتِيَ بِصِيغَةِ (الْإِفْرَادِ)، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ أُريدَ بِهَا جَهَةُ الْعُلُوِّ كَمَا أُريدَ بِالْأَرْضِ جَهَةُ السُّفْلِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْعَوَالِمِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ مَنْزَهَةٌ عَنِ الْعَبَثِ فِي خَلْقِهَا وَإِجَادِهَا، وَفِي ذَلِكَ تَعْظِيمٌ لِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْإِنْسَانِ، لِتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ وَحِكْمَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ عَنِ الْعَبَثِ فِي إِجَادِهَا وَتَخْلِيقِهَا.

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 97/14.

(2) ابن القَيْم، بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ: 130/1.

اشتمال
السَّمَاوَاتِ عَلَى
أَعْظَمِ الْآيَاتِ
الْبَيِّنَاتِ

تعظيمُ المخلوق
دليلُ حكمة
الخالق

دلالة العطف بـ(الواو) في قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾:

عُطِفَتِ العوالمُ المحاطةُ المُعْبَرُ عنها بـ(ما بينهما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ بحرف (الواو) الدالُّ على الجمع والافتتران؛ لإفادة شمولِ الحكمة لها جميعاً، إذ نفى الله سبحانه العيبَ والباطلَ عن جميعِ خلقه المُحِيطِ والمُحَاطِ بجهتي العلوِّ والسُّفلِ.

نفى البطلان عن
المُحِيطِ والمُحَاطِ

وجه إيثار (ما) للوصولة:

استُعْمِلَ في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الاسمُ الموصولُ المبهمُ (ما)؛ لشمولِ العوالمِ جميعها المحصورة بين السماء والأرض، والنكتة البلاغية في إيثارِ وضعِ الاسمِ الموصولِ موضعَ الاسمِ الظاهرِ التَّوَصُّلُ لوصفه بجملة الصِّلة، وهو هنا شمولُ الحكمة لجميعِ المخلوقاتِ المعلومة وغيرِها وما فيها من حكم باهرة، وأسرارٍ بالغة، ومصالحَ جمَّة⁽¹⁾. ولم يكتفِ النظمُ بدخولِ الذي بينهما في ضمنِ العوالمِ العلوية والسُّفلية، بل نصَّ عليهما؛ ليكون تصريحاً بما عِلِمَ ضمناً، وتخصيصاً على دخوله في الحكم بالمطابقة.

حكمة الله
شبحانه ظاهرة
في كلِّ مخلوقاته

معنى ظرف المكان ﴿بَيْنَهُمَا﴾ في الآية:

وردَ في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ لفظُ (بينَ)، والأصلُ فيه أنه ظرفُ مكانٍ دالٌّ على مكانِ الاجتماعِ والاتِّصالِ فيما يُضَافُ هو إليه، وهو في هذه الآية ظرفُ دالٌّ على الحيزِ الشَّامِلِ للمخلوقاتِ الكائنة بمكانِ افتراقِ السَّمَاءِ والأرضِ. بقي أنَّ النظمَ يستدلُّ بالنظامِ الكونيِّ على نفيِ العيبِ في الخلقِ، فيكونُ العقلُ عندَ تأمله كافياً في الحكمِ بأنَّ هذا النظامَ المُتَقَنَّ دليلاً على الصَّانعِ الحكيمِ، ولا يليقُ بحكمته أن لا يُحَاسِبَ النَّاسَ على أعمالِ الخيرِ والشرِّ الصَّادرة منهم.

الحاصر
والمحصور خالٍ
من العيب
للهووم

(1) الهرري، حقائق الروح والريحان: 24 / 370.

دلالة لَفْظِ «بَاطِلًا»:

الخلقُ المحكَّمُ
العظيم دليلُ
الصانع الحكيم

عَبَّرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ بلفظ «بَاطِلًا»، وَأَصْلُهُ ذَهَابُ الشَّيْءِ وَقِلَّةُ مَكْنِهِ وَلُبْثُهُ. وَالباطلُ هنا: ضِدُّ الْحَقِّ، فَكُلُّ مَا كَانَ غَيْرَ حَقٍّ فَهُوَ الْبَاطِلُ الرَّائِلُ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدَّخَان: 39].

والمُرَادُ بِ(الْحَقِّ) الْمَأْخُوذِ مِنْ نَفْيِ (الباطل) هنا، هُوَ أَنَّ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ قَدْ خُلِقَتْ عَلَى حَالَةٍ لَا تَخْرُجُ عَنِ الْحَقِّ؛ إِمَّا حَالًا كَخَلْقِ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِمَّا مَالًا كَخَلْقِ الشَّيَاطِينِ وَالْمُفْسِدِينَ؛ لِأَنَّ إِقَامَةَ الْجَزَاءِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ اسْتَدْرَاكٌ لِمُقْتَضَى الْحَقِّ⁽¹⁾.

دلالة نصبِ «بَاطِلًا»:

تَعَدَّدُ الْأَوْجُهُ
الإِعْرَابِيَّةُ دَلِيلُ
تَنَوُّعِ الْمَعَانِي
الدَّلَالِيَّةِ

وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ لَفْظُ «بَاطِلًا» مَنْصُوبًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ، وَالتَّقْدِيرُ: (خَلَقًا بَاطِلًا) فَيَكُونُ نَفْيُ الْبُطْلَانِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ نَفْسِهِ، بِمَعْنَى: لَا لَغْوَ وَلَا لِحِكْمَةٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ لِزَوَالِ الْعَمَلِ الْعَبَثِيِّ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَجُوزَ كَوْنُهُ حَالًا مِنْ فَاعِلِ «خَلَقْنَا» بِتَقْدِيرِ مُضَافٍ؛ أَيِ: ذَوِي بَاطِلٍ، وَالبَاطِلُ: اللَّعِبُ وَالْعَبَثُ؛ أَيِ: مَا خَلَقْنَا ذَلِكَ مُبْطِلِينَ لَاعِبِينَ، وَجُوزَ كَوْنُهُ حَالًا مِنَ الْمَفْعُولِ أَيْضًا بِنَحْوِ هَذَا التَّأْوِيلِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ؛ أَيِ: لِلْعَبَثِ وَاللَّهْوِ، بَلْ لِلْحِكْمَةِ⁽²⁾. وَيَتَرَجَّحُ لَدَيْنَا التَّوْجِيهُ الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ لَفْظُ انْتِبَاهِ الْمُكَذِّبِينَ بِالنُّشُورِ وَالْحِسَابِ إِلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِمَا مِنْ نِظَامٍ وَصَنْعَةٍ عَجِيبَةٍ، يَدُلُّ ذَلِكَ الْخَلْقُ الْمُتَقَنَّ عَلَى خَالِقٍ حَكِيمٍ يَمْتَحَنُ عِبَادَهُ بِرَبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ؛ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ أَوْ كُفْرَانِهِمْ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 246.

(2) الزمخشري، الكشاف: 89/ 04، والالوسي، روح المعاني: 12/ 180، والهريري، حقائق الروح والريحان: 24/ 370.

نكتة تنكير ﴿بَاطِلًا﴾:

نُكِرَ لفظُ ﴿بَاطِلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ لنكتة العموم، ووجه ذلك أن لفظَ ﴿بَاطِلًا﴾ نكرة في سياق النفي، فكلُّ خلقٍ فيه حكمةٌ عظيمةٌ وفائدةٌ جسيمةٌ مشحونةٌ بضروبِ البدائع؛ تبصرةً للنُّظار وتذكرةً لذوي الاعتبار، وتسيباً لما ينتظمُ به أمورُ العباد في المعاشِ والمعاد⁽¹⁾.

النكرة في سياق
النفي تقتضي
العموم

بقي أن في لفظِ ﴿بَاطِلًا﴾ مجازاً مُرسلاً أو استعارةً تصرّحيةً؛ إذ سُمِّيَ العملُ العبثيُّ الخالي من الغرضِ والحكمةِ بالباطلِ الزائلِ؛ إمّا تسميةً للشيء بما يستلزمه، أو تشبيهاً للخالي من الحكمةِ بالزائلِ بجامعِ عدمِ الانتفاعِ بهما.

بلادة الإشارة في: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

أُشيرَ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى ظنِّ الكُفَّارِ الفاسدِ الذي هو المنفي في العبارة المُتقدِّمة - أي: أن خلقَ السَّماءِ والأرضِ باطلٌ - باسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿ذَلِكَ﴾؛ استعارةً للبعدِ المكانيِّ في البعدِ المعنويِّ وما فيه من معنى بُعْدِ المشارِ إليه؛ للإشعارِ بخطرته وبُعدهِ عن الصَّوابِ، فالقولُ بأنَّ اللهَ سبحانه قد خلقَ الكونَ باطلاً خالياً عن الغايةِ والحكمةِ كلامٌ خطيرٌ عارٍ عن الصَّحَّةِ⁽²⁾.

استعارة البعد
المكاني للبعد
المعنوي

وجه إثبات لفظِ (الظَّنِّ) على (العِلْمِ):

أوثرَ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التعبيرُ بلفظِ (الظَّنِّ)، ومعناه: مَظنونٌ كُفَّارٌ مكَّة، وسُمِّيَ ظناً؛ لأنَّه مخالفٌ للواقع؛ فهو باسمِ الظَّنِّ أجدرُّ؛ فالكُفَّار - وإن كانوا مُقرِّين بأنَّ اللهَ هو الخالقُ - لما اعتقدوا بأنَّ الجزاءَ الذي هو حكمةٌ خلقِ العالمِ باطلاً؛

بطلانُ مَظنونٍ
كُفَّارٍ مكَّة في
البُعث

(1) القونوي، الحاشية على تفسير البيضاوي: 396 / 13.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 372 / 16، والشَّهاب، عناية القاضي: 208 / 6.

لَزِمَهُمْ أَنْ يَظُنُّوا أَنَّ الْمَعْلُولَ بَاطِلٌ وَيَعْتَقِدُوا ذَلِكَ؛ أَي: إِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ خُلِقَتْ لَا لَغَرَضٍ وَلَا لِحِكْمَةٍ، وَيَقُولُونَ: لَا قِيَامَةً، وَلَا بَعْثَ، وَلَا حِسَابَ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ أَنَّ يَكُونَ خَلْقُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ بَاطِلًا⁽¹⁾. كَمَا يَلْزِمُ نِسْبَةُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى عَدَمِ الْحِكْمَةِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ الْأَشْيَاءَ كَمَا يَفْعَلُ الْعَابَثُونَ وَاللَّاهُونَ، وَهُوَ مَنَاطُ الْحَدِيثِ؛ إِذْ كَيْفَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّ فَعْلَهُ لَهَا عِبْتُ وَلَهُوُّ وَلَعِبٌ؟!

بَقِيَ أَنَّ تَسْمِيَةَ ذَلِكَ الْمَعْتَقِدِ الْبَاطِلِ بِ(الظَّنِّ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْكَافِرُونَ مِنْ اعْتِقَادَاتٍ لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ ظَنًّا وَشَكًّا وَتَرَدُّدًا، فَهُمْ لَا يَسْتَقِنُونَ حَكْمًا، وَلَا يُذْعِنُونَ لِعَقِيدَةٍ إِلَّا وَيَخَامِرُهُمْ فِيهَا ظَنٌّ وَرَبِيَّةٌ.

فائدة التعبير بالموصول ﴿الَّذِينَ﴾:

تقريع الكافرين
بجحودهم يوم
الدين

عُدِلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عَنِ الْاسْمِ الظَّاهِرِ (الكافرين) إِلَى التَّعْبِيرِ بِالْمَوْصُولِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لِتَقْرِيعِ الْكَفَّارِ بِمَا فِي حَيْزِ الصَّلَةِ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْحِسَابِ، وَفِيهِ أَيْضًا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ظَنَّهُمُ الْقَبِيحَ هَذَا مَا هُوَ إِلَّا نَتِيجَةُ كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ لِلْحَقِّ⁽²⁾.

دلالة التعبير بـ(الكفر) دون (الشرك):

الكفر أعم من
الشرك دلالة
وأكثر خصالا

أَوْثِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التَّعْبِيرُ بِوَصْفِ (الكفر) دُونَ (الشُّرْكِ) لِقَصْدِ الْعُمُومِ، فَالْكَفْرُ خِصَالٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ خِصْلَةٍ مِنْهَا تَضَادُّ خِصْلَةً مِنَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا فَعَلَ خِصْلَةً مِنَ الْكُفْرِ فَقَدْ ضَيَّعَ خِصْلَةً مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَمَّا الشُّرْكَ فَهُوَ خِصْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ إِعْتِقَادُ آلِهَةٍ مَعَ اللَّهِ أَوْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْكُفْرُ أَعَمَّ مِنَ الشُّرْكِ⁽³⁾. كَمَا أَنَّ سِيَاقَ الْآيَاتِ فِي ذِكْرِ الْحِكْمَةِ مِنَ الْخَلْقِ، وَثَبُوتِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 248، والهرري، حقائق الروح والريحان: 24 / 370.

(2) الطَّنْطَاوِيُّ، التفسير الوسيط: 12 / 155.

(3) النووي، شرح مسلم: 1 / 62.

الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَجَزَاءِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ نَاسَبَ إِيرَادَ لَفْظِ الْكَفْرِ الدَّالُّ عَلَى الْجُحُودِ لِلْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ نَقِيضُ الْإِيمَانِ بِهَذِهِ الْمَغْيبَاتِ؛ فِي حِينَ أَنَّ الشَّرْكَ نَقِيضُ التَّوْحِيدِ⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالماضي ﴿كَفَرُوا﴾:

جاءَ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الفعلُ ﴿كَفَرُوا﴾ بصيغة الماضي؛ للدلالة على تحقق كفر الكافرين في الدنيا، ورُسوخِ هذا الوصفِ فيهم؛ وذلك لأنَّ الإخبارَ عن الشيء بصيغة الماضي يقتضي تحقق الخبر، ويقتضي كونه المُخْبِر عنه مُتَقَدِّمًا على ذلك الإخبار⁽²⁾.

نكتة حذف متعلق الفعل ﴿كَفَرُوا﴾:

لم يذكر النظم القرآني المتعلق في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فلم يقل: (كفروا بحكمة الله أو كفروا بالبعث والجزاء) أو غير ذلك؛ لأنَّ ذلك معلومٌ من السِّياق، ومن المقرر أنَّه متى كان الفعل نَصًّا في مطلوبه لا يُذَكَّرُ المتعلق به إلا لغرض بلاغيٍّ آخر مقصود⁽³⁾. ويحتمل أنَّ الفعل أُريدَ به اللزوم، والمعنى: أنَّ ذلك المعتقد الباطل هو ظنُّ الَّذِينَ وُجِدَ منهم الكفرُ وتحقَّقَ فيهم الجحودُ، وهو شعارُ عبدة الأصنام.

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾:

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ بحرفِ الفاءِ الدَّالَّةِ على التَّفْرِيعِ، بمعنى ترتيبِ ثبوتِ الويلِ لهم على ظنِّهم الباطلِ، وبيانِ العاقبةِ السيِّئةِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ بسببِ هذا الظَّنِّ الفاسد⁽⁴⁾. ويجوزُ أَنْ تكونَ (الفاءُ) فصيحةً؛ لأنها أفصحُ عن

تحقق كفر
الكافرين
ورسوخهم فيه

اشتغالهم
بالكفر لازم لهم

ترتيب ثبوت
الويل لهم على
ظنهم الباطل
جزاء ميلهم كل
اليل

(1) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 230.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 283/2.

(3) الشعراوي، التفسير: 224/7.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 120/6، والطناوي، التفسير الوسيط: 155/12.

جواب شرطٍ مُقدَّرٍ تقديرُهُ: إذا عرفتَ كَوْنَ مَظَنُونِهِمْ هذا، وأردتَ بيانَ عاقبتهم فإنني أقولُ لك: الهلاكُ كُلُّ الهلاكِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا⁽¹⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بلفظِ (الْوَيْلِ):

عُبرَ في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ بلفظِ (الويل)، وأصلُهُ في اللِّغَةِ: العذابُ والهلاكُ والوعيدُ بحلولِ الشَّرِّ⁽²⁾. والمعنى: توعَّدُ الكافرينَ بالهلاكِ المبينِ بسببِ ظَنِّهم الفاسدِ القادِحِ في حِكْمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ⁽³⁾.

بلاغةُ الكِنَايَةِ في لفظِ (الويل):

تضمَّنَ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ كِنَايَةً مشهورةً؛ إذ لفظُ (ويل) يدلُّ على أشدِّ السَّوِّ. ويقالُ: (ويلٌ له) للتَّعْجِيبِ من شِدَّةِ سَوِّ حَالَةِ الْمُتَحَدِّثِ عنه، وهي هنا كِنَايَةٌ عن شِدَّةِ عَذَابِ الْكَفَّارِ فِي النَّارِ⁽⁴⁾.

سِرُّ الإِظْهَارِ مَوْضِعَ الإِضْمَارِ:

عُبرَ النَّظْمُ في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ بالإِظْهَارِ في مَقَامِ الإِضْمَارِ؛ لِنَكْتَةِ الإِشْعَارِ بَعْلِيَّةِ صَلَةِ الْمُوصُولِ لِلْحُكْمِ؛ أي: إِنَّ هَذَا الْوَيْلَ وَالْهَلَاكَ لَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ. ولم يقل: (لِلَّذِينَ ظَنُّوا)؛ للإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ ظَنَّهُم الْقَبِيحَ هَذَا مَا هُوَ إِلَّا نَتِيجَةُ كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ لِلْحَقِّ⁽⁵⁾.

دَلَالَةُ ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ النَّارِ﴾:

يجوزُ في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أَنْ تَكُونَ ﴿مِنْ﴾ ابْتِدَائِيَّةً أَوْ بَيَانِيَّةً أَوْ تَعْلِيلِيَّةً؛ فعلى كونِها ابْتِدَائِيَّةً فالويلُ وَالْهَلَاكُ

توعَّدُ الكافرينَ
بالنَّارِ جزاءً على
سوءِ ظَنِّهم

الكِنَايَةُ عن شِدَّةِ
عَذَابِ الْكَفَّارِ فِي
النَّارِ

الكُفْرُ سَبَبٌ
لِلظَّنِّ وَعِلَّةٌ
لِدُخُولِ النَّارِ

تَنَوُّعُ الْمَعَانِي
الدَّلَالِيَّةِ بِتَنَوُّعِ
مَعَانِي الْحُرُوفِ

(1) الهرري، حقائق الروح والريحان: 370 / 24.

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (ويل).

(3) البقاعي، نظم الدرر: 372 / 16.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 249 / 23.

(5) الطنطاوي، التفسير الوسيط: 155 / 12.

مُبْتَدَأٍ مِنْ «النَّارِ»، وعلى كونها بَيَانِيَّةً فَبَيَانُ الْوَيْلِ أَنَّهُ عَذَابُ النَّارِ، وَأَمَّا التَّعْلِيلِيَّةُ فَمَعْنَاهَا مَفِيدٌ عَلَيَّةَ النَّارِ فِي ثَبُوتِ الْوَيْلِ لَهُمْ صَرِيحًا، بَعْدَ الْإِشْعَارِ بِعِلِّيَّةِ مَا يُوْدِّي إِلَيْهَا مِنْ ظَنِّهِمُ الْفَاسِدِ وَكُفْرِهِمُ الْفَاحِشِ؛ أَيْ: فَوَيْلٌ لَهُمْ بِسَبَبِ النَّارِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى ظَنِّهِمْ وَكُفْرِهِمْ⁽¹⁾.

سُرُّ تَعْرِيفِ لَفْظِ «النَّارِ»:

جاءَ لَفْظُ «النَّارِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» مُعَرِّفًا بِتَعْرِيفِ الْعَهْدِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا دَارُ الْعِقَابِ الْمَوْقَدَةِ نَارًا، الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْعُصَاةِ وَالْكَفَّارِ، وَقَدْ حَصَلَ لِلْعَرَبِ الْعِلْمُ بِهَا مِنْ أَخْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَبِمَا نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ⁽²⁾.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الخلق والإنشاء والإيجاد والدُّزء:

يُظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ فِي عِلَاقَةِ (العموم والخصوص)، إِذِ (الخلق) عَامٌّ يَشْمَلُ الْإِيجَادَ وَيَشْمَلُ التَّقْدِيرَ. وَأَمَّا (الإيجاد) فَهُوَ خَاصٌّ بِالْإِخْرَاجِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ. وَقَدْ أُطْلِقَ (الخلق) فِي الْقُرْآنِ عَلَى إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ الْمَعْدُومَةِ؛ فَهُوَ إِخْرَاجُ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ إِخْرَاجًا لَا صَنْعَةً فِيهِ لِلْبَشَرِ، وَصَارَ ذَلِكَ مَدْلُولَ مَادَّةِ (خلق) فِي اصْطِلَاحِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَخَصَّ اسْمُ (الخالق) بِهِ تَعَالَى؛ فَلَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَوْ أُطْلِقَ أَحَدٌ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِنَاءً عَلَى الْحَقِيقَةِ اللَّغَوِيَّةِ لَكَانَ إِطْلَاقَهُ عَجْرَفَةً، فَيَجِبُ أَنْ يُنْبَهَ عَلَى تَرْكِهِ⁽³⁾. قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي (المقصد الأسنى): "وَأَمَّا الْخَالِقُ الْبَارِئُ فَلَا مَدْخَلَ لِلْعَبْدِ أَيْضًا فِي هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ"

النَّارُ دَارُ الْعِقَابِ
لِلْعُصَاةِ وَالْكَفَّارِ
الْعَتَاةُ

لَا يَقْدِرُ عَلَى
الْإِيجَادِ مِنَ
الْعَدَمِ إِلَّا
الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 372 / 16، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 224 / 7، والهرري، حقائق الروح والريحان: 370 / 24.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 249 / 23.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 327 / 1.

إِلَّا يَنْوَعُ مِنَ الْمَجَازِ بَعِيدٍ، وَوَجْهُهُ: أَنَّ (الخلق والإيجاد) يرجعُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْقُدْرَةِ بِمَوْجَبِ الْعِلْمِ، وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ عِلْمًا وَقُدْرَةً، وَلَهُ سَبِيلٌ إِلَى تَحْصِيلِ مَقْدُورَاتِهِ عَلَى وَفْقِ تَقْدِيرِهِ وَعِلْمِهِ⁽¹⁾. وَأَمَّا (الإنشاء) فهو إيجادُ الشَّيْءِ مَعَ تَرْبِيئِهِ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْحَيَوَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [الملك: 23]⁽²⁾. وَأَمَّا (الذَّرْعُ) فيتميّزُ بِمِلْحِ الْخَلْقِ لِلتَّكْثِيرِ، وَمَعْنَاهُ فِي اللَّغَةِ الْبَذَرُ وَالزَّرْعُ، وَمِنْهُ (الذَّرِيَّةُ) فِي رَأْيٍ مَنْ يَرَى أَنَّ الذَّرِيَّةَ أَصْلُهَا الذَّرِيَّةُ⁽³⁾.

وقد أُوْثِرَ فِي الْآيَةِ لَفْظُ (الخلق)؛ لِتَعْلِقِهِ بِإِيجَادِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْعَدَمِ، وَلَا يَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ.

النَّارُ وَجَهَنَّمُ وَالسَّعِيرُ:

تَعَدَّدُ أَوْصَافُ
النَّارِ بِمَا يُنَاسِبُ
السِّيَاقَ مِنْ
الْوَعِيدِ

يَتَضَحُّ الْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ فِي كَوْنِ (النَّارِ) اسْمَ جَنْسٍ لِمَادَّةِ الْإِحْرَاقِ، وَأَمَّا (جَهَنَّمُ) فَهِيَ عِلْمٌ عَلَى دَارِ الْعِقَابِ الْمَوْقَدَةِ نَارًا، وَهِيَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: (رَكِيَّةُ جَهَنَّمِ)؛ أَي: بَعِيدَةُ الْقَعْرِ، فَيَصِفُونَ جَهَنَّمَ أَنَّهَا كَالْبُئْرِ الْعَمِيقَةِ الْمُتَلْتَلَةِ نَارًا. أَمَّا (السَّعِيرُ) فَهُوَ الْإِلْتِهَابُ، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ؛ أَي: مَسْعُورٌ؛ أَي: زِيَادَةُ الْوَقُودِ فِي النَّارِ، وَهُوَ مُعَامِلٌ مُعَامَلَةٌ الْمَذْكُورُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَحْوَالِ اللَّهَبِ، وَقَدْ يُطْلَقُ عِلْمًا بِالْغَلْبَةِ عَلَى (جَهَنَّمَ)، وَذَلِكَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَي: ذَاتُ سَعِيرٍ. وَأَمَّا (الجحيم) فَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَوْصَافِ النَّارِ، وَأَصْلُ الْجَحِيمِ النَّارُ الْعَظِيمَةُ تُجْعَلُ فِي حُفْرَةٍ لِيَدُومَ لَهْيُهَا. يُقَالُ: نَارٌ جَحْمَةٌ؛ أَي: شَدِيدَةُ اللَّهَبِ⁽⁴⁾.

وقد أُوْثِرَ فِي الْآيَةِ لَفْظُ ﴿النَّارِ﴾؛ لِعُمُومِهِ وَمِرَاعَاةِ الْفَاصِلَةِ الْقِرَائِيَّةِ.

(1) أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ، الْقَصْدُ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ مَعَانِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، ص: 79.

(2) الرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (نَشَأَ).

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ: (ذَرَأَ).

(4) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 271 / 2، 13 / 7، 332 / 18.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصافات من الآية 145 إلى سورة الزمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصافات من الآية 145 إلى سورة الزمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.

مج. 49، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-641-51-3

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 49: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصافات من الآية 145 إلى سورة الزمر الآية 04.

1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-641-51-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،

الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»